

رائحة الموت كانت تفوح من البحر الأحمر

مصارعة الأمواج ٥٠ ساعة

بمساعدة لوح خشبي

أهالي الضحايا ناموا في العراء وعانوا

الأميرين للتعرف على جثث ذويهم

تكس جثث الضحايا يهدد

بوقوع كارثة صحية



كانت سنوات حتى برزغ النهار واكتشفت أن الشيء الذي علق بقدمي لم يكن سوى قطعة من قماش ربما تكون لأحد الضحايا الذين بدأوا يطفون على سطح المياه رغم أنهم كانوا ممسكين بأطواق النجاة ولكنها إرادة الله.

وتروي إحدى السيدات التي تدخل القدر لإنقاذها من الموت أن ما أصعب على النفس أن تفرط في الأمانة ولكن ليس بارادتها وتصف لنا المشهد الذي جعلها تنخرط في البكاء أنها كانت متعلقة بطوق النجاة وفجأة اقترب منها رجل يحتضن قلدة كبدته ولكن الرجل كان في حالة أرهاق تام فقد شعر بأنه يصارع الموت وطلب منها أن تمسك بالطفل لإنقاذه ولبت السيدة مطلب الرجل الذي فور تسليمه الطفل لها لفظ أنفاسه الأخيرة.

وأمام هذا المشهد الذي راح فيه الطفل الذي يبلغ من العمر نحو ست سنوات يقول «بابا.. بابا» عاين أبويا واحتضنت الطفل وشعرت نحوه بعاطفة الأمومة خاصة بعد أن أصبح يتيمًا خلال دقائق وممرت ساعات وخلالها قال لي الطفل «يا بنت» بعد ما تطلع وديني لعمي في المنصورة بابا غرق خلاص وإذا بعاصفة من الموج تطيح بنا ليلحق بوالده إنها لحظات أصاعت على فرحتي بالنجاة.

مأسى المفقودين

ووسط مشاهد درامية تعتصر فيها القلوب وتدمع خلالها الأعين يروي لنا إيهاب مغاوري

ما بين الحياة والموت خيط دقيق لا يعرفه من لأحياء إلا عدد نادر من البشر اقتربوا منه بشدة وأمعنوا النظر في الجانب الآخر وعادوا يروون لحظات العذاب والرعب.. وفي ميناء سفاجا والغردقة أخذ الناجون من كارثة العبارة المنكوبة «السلام ٩٨» يتحدثون «للأهرام» عن تجاربهم الأليمة وصراخهم مع المياه المالحة والأمواج العاتية للبقاء على قيد الحياة.

الناجون يتحدثون

يروى عبدربه سعيد رحلة الموت أكثر من مرة وذلك على حد قوله لقد شعرت بالموت في كل دقيقة تمر على ولك أن تتخيل نفسك وسط أمواج متلاطمة وأنا أمسك بلوح خشبي وما أصعب على النفس أن يدخل الظلام الدامس وأنا وسط البحر الذي يطلقون عليه عبارة «البحر غول» ولا يفارق خيالي أن هذه المنطقة بها سمك القرش وعلى قدر معرفتي أنه بمجرد أن يشتم رائحة دم الإنسان يصاب بهياج وينهش فيه دون تمييز، ويتنفس عبدربه سعيد، الذي ظل أكثر من ٥٠ ساعة في عرض البحر الصعداء.. ويصرخ بعدها لقد شعرت بشيء غريب اقترب من قدمي وأنا عائِم على اللوح الخشبي أصبت بحالة من الفزع والرعب وفكرت أن أهرب ولكن كيف فالأمواج هي التي تختار الطريق وسلمت أمري إلى الله ومضت ساعات لا أكون مبالغًا عندما أصفها بأنها ممرت على كما لو

سفاجا:

عصام مليجي عرفات على مصطفى المليجي محمد دنيا عمرو على الفار نادر محمود طمان

للعمل بالسعودية على مدى عشرين عاما وأراد أن يحقق رغبة أسرته في أن يقضى معهم العيدين عيد الفطر وعيد الأضحى خاصة أنه اعتاد ألا يحصل على إجازة إلا كل عامين مرة واحدة وجاء موعد سفره لعمله بالسعودية واستقل العبارة المنكوبة وما إن وصل إلى ميناء ضبا السعودي اكتشفت السلطات هناك أن جواز سفره أصبح غير صالح فلم يكن أمامه سوى العودة مرة أخرى لمصر لتجديد جواز السفر وكان القدر كان قد رسم خيوطه لتكون رحلة الموت في انتظاره ويقول شقيقه صابر إن مفارقات القدر أيضا أن شقيقى كان قد وعد أحد أقاربي بتدبير فرصة عمل له هناك بالسعودية مساعدة منه له فى أن يتم زواجه إلا أن القدر حال دون تنفيذ وعدا

هكذا كانت تفاصيل بعض القصص المساوية للضحايا وأسرههم إلا أنه بوجود بعثة «الأهرام» وسط الأهالي بمدينة سفاجا والغريقة كشفت أن فصول المأساة حملت بين طياتها مشاهد أخرى كانت أصعب على أسر الضحايا من لوعة فراق الأحبة.

بيانات متضاربة

وما أصعب أن تجد نفسك حائرا فى انتظار المجهول، فالبيانات كانت متعددة ومتضاربة فى أن واحد فمن الأهالي من حصل على صورة جثة ذويه التى تحمل رقما وعندما يتوجهون إلى المشرحة لتسلمها يكتشفون عدم وجودها ويظلون حائرين بين البيانات المضللة والتى من خلالها يتوجهون إلى مشرحة زينهم بالقاهرة ليكتشفوا أيضا عدم وجود جثث ذويهم بين الجثث المجهولة ولم يكن أمامهم سوى العودة مرة أخرى إلى الغردقة ربما للاحتماء

الحداد رحلة الحج والموت لشقيقته وأبنائها الثلاثة التى يعمل زوجها بالسعودية وخلال زيارته لهم فى العام الماضى طلبت شقيقتى من زوجها أن يقدم لها خير هدية إنها رحلة الحج لتسقط عنها الفريضة وهنا وافقها الزوج أن يؤديها هو معها أيضا ويصطحبوا معهم أبناءهم الثلاثة وأنهى لهم جوازات السفر قبل مغادرته البلاد عندما انتهت إجازته وقبل موسم الحج سافرت شقيقتى وأبناؤهما أحمد بالصف الثانى الثانوى ومحمد بالصف الثالث الاعدادى ومنة بالصف الأول الابتدائى وفازوا بأداء فريضة الحج وبعدها مكثوا معه هناك فى الأراضى السعودية حتى جاء موعدهم مع

القدر وتقول اتصل بنا زوج شقيقتى وحدد لنا موعد وصول شقيقتى وأبنائها الثلاثة على العبارة السلام ٩٨ ووسط فرحة أسرته بموعد عودتهم والاستعداد لاستقبالهم فوجئنا بالفاجعة التى تحولت خلالها الفرحة إلى نكبة وأنا فى طريقى من طنطا بالغربية أنا وباقي أفراد أسرته وأسرة زوج شقيقتى كان الأمل فى العثور عليهم أحياء وأحيانا نقول لو أن واحدا من أفراد الأسرة ينجو فسنحمد الله وما أن وصلنا إلى ميناء سفاجا ووسط الأعداد الهائلة من البشر التى زادت الشعور بالكارثة علمت أن هناك جثثا بمستشفى الغردقة العام وفور مجيئنا عثرت على جثتى منة ومحمد وهما أنا الآن فى انتظار جثتى شقيقتى أمل وأبنها أحمد بعد أن أصبح الأمل مفقودا فى العثور عليهما أحياء.

عاد ليصوت

ومن مفارقات القدر مع ابن الصعيد عبيد محمد أحمد ٤٥ سنة الذى ترك موطنه بنجع حمادى وسافر

وفى ظل غياب المسؤولين وقع العبء الأكبر على رجال الشرطة الذين لم يفارقوا المواقع التى تجمع فيها الأهالى وراحوا يمسون بصور جثث الضحايا الذين لم يتم التعرف عليهم وارشد المواطنين بقدر المعلومات التى تتوافر لديهم من الأجهزة المعنية. وعلى الرغم من أن ثورة الأهالى نالت من بعض رجال الشرطة إلا أن الأجهزة الأمنية قامت بامتصاص هذا الغضب لأنهم يدركون جيدا مدى المأساة التى يعيشها الأهالى. وبوجود بعثة «الأهرام» على أرض الواقع كان من الملاحظ عدم وجود أعضاء مجلس الشعب عن دوائر المفقودين معهم وهو ما أكدته الأهالى أن هدف الأعضاء لم يكن سوى الحصول على الحصانة البرلمانية فقط!

رائحة الموت

وفى داخل مستشفى الغردقة العام كانت رائحة الموت تفوح من داخلها خاصة عقب وصول جثث الضحايا المشوهة وتلاحظ عدم وجود ثلاثيات تكفى لحفظ الجثث المتراكمة لحين تسلمها وأن الثلاثة لاتستوعب سوى ١٤ جثة فقط فى حين أن عدد الجثث التى استقبلتها مشرحة المستشفى تجاوزت المئات مما دفع المسؤولين إلى اتخاذ قرار بنقل الجثث إلى مشرحة زينهم بالقاهرة ومشرحة مستشفى قنا العام وبعض المستشفيات الأخرى والسؤال الذى يطرح على السطح لماذا لم تتوافر ثلاثة بالمستشفى تستوعب حتى ٢٥ فى المائة من عدد الجثث التى تسفر عنها مثل هذه الكوارث!

كما أنه من الملاحظ عدم تعقيم المستشفى إلا صباح يوم الأربعاء الماضى أى بعد خمسة أيام من استقباله الجثث الأمر الذى كان من الممكن أن يؤدى إلى انتشار الأوبئة بين الأهالى الموجودين بالمستشفى وعلى جوانبه!

بأقاربهم الذين كانوا يفترشون الأرض أمام المستشفى فى انتظار بيانات جديدة.

ويتساءل أحد الأشخاص هل محافظة البحر الأحمر التى تعد من أكبر المحافظات دخلا ماديا فقيرة فى أن تضع شاشات عرض أمام مستشفى الغردقة للتعرف بوضوح على الجثث المجهولة!

وأين كان رجال الأعمال الذين يمتلكون القرى السياحية دون فتح أبوابها أمام الأهالى ونحن نفتش الأرض وننام فى العراء... خاصة أن نسبة اشغال قراهم لم تكن بالنسبة التى تشهدها فى مثل هذه الأيام من كل عام.

أم ان أولاد الغلابة محرم عليهم الاقتراب من هذه الأبواب حتى فى أحلك الأزمان! ألم يكن هناك مسئول

تتوفر لديه الشجاعة الأدبية أن يعطى أمرا لهؤلاء باستقبالنا وماذا كنا نفعل لولا أن الهلال الأحمر قد قام بإمدادنا بالبطاطين وأقام لنا سرادق أمام المستشفى وبقرية الحجاج بمدينة سفاجا.

ألم يدرك المسئولون أنه كان يمكن أن تتضاعف الكارثة ببتشار وباء بين الأهالى بسبب قلة النظافة الشخصية لهم إننا لانملك إلا أن نقول «حسبنا الله ونعم الوكيل».

ثورة الغضب

وعلى الرغم من المشقة التى تكبدها الأهالى طوال الفترة الماضية منذ وقوع الحادث إلا أنهم ارتضوا بهذا الوضع اللانسانى على أمل واحد وهو معرفة أى أخبار أو معلومات عن مصير أبنائهم المفقودين ولكن للأسف هذا الأمل تضاعل يوما بعد الآخر مع تضارب المعلومات والبيانات عما أسفرت عنه جهود البحث وعدم وجود أى مسئول وسط الأهالى للرد على تساؤلاتهم الحائرة مما فجر بركان الغضب بداخلهم واحداثوا أعمال الشغب والمظاهرات التى تندد بالمسؤولين أمام ميناء سفاجا وقرية الحجاج.